أصول علم الاجتماع اللغوي عند العرب
دراسة مقارنة بين كتابات الجاحظ واللسانيات الحديثة

د. عمر حدوارة

تعريف اللسانيات الاجتماعية

مرادفات اللسانيات الاجتماعية كثيرة في العلوم الانسانية منها

- **اللسانة الاجتماعية** sociolinguistique
- **اللسانة الإناسية** linguistique anthropologique
- **اجتماعيات اللغة** sociologie du langage
- **الجغرافيا اللسانية**

اللسانيات الاجتماعية كما هو واضح من التعريف السابق، تخصص علمي يجمع كل من علم اللسانيات وعلم الإجتماع وعلم السلالات البشرية l'ethnologie **وعلم الجغرافيا البشرية وعلم اللهجات.**

اللسانيات الاجتماعية تدرس العلاقات القائمة بين اللغة والأفراد من جهة،وبينهما وبين المعطيات الاجتماعية. كأن تدرس العلاقة ما بين اختيار الفرد لنمط محدد من الإتصال والوضعية الاجتماعية التي يوجد فيها الفرد.

اللسان مؤسسة اجتماعية :

اللسان مؤسسة اجتماعية وقد أكد على ذلك دي سوسور نفسه في الصفحات الأولى لمحضراته.

أما الكلام فما هو إلا تأدية لهذا اللسان تمتزج فيه عوامل أخرى نفسية وفيزيولوجية واجتماعية وغيرها، والتي لا يعدها دي سوسور من صميم الدراسة اللسانية.

والواقع أن اللسان مثله مثل كل المؤسسات الاجتماعية، يعكس كل ما يجري في المجتمع الذي يستعمله. والمجتمعات الإنسانية بطبيعتها مبنية على التنوع. وأساسها الصراعات والتناقضات التي تتفاعل فتجعل البنى الاجتماعية تعرف حركة ديناميكية مستمرة ومتواصلة وتلك هي صيرورة الحياة. فاللسان مؤسسة اجتماعية تتفاعل مع كل المؤسسات الاجتماعية الأخرى ينطبع بهذا التنوع والاختلاف. ويعكس بدوره الحركة الاجتماعية في تحولاتها وصراعاتها وتناقضاتها بل قد تكون اللغة البؤرة والحيز الذي تنصهر فيه الصراعات والتناقضات التي تحتد على الساحة الاجتماعية ١.

وفي مقالي هذا حاولت قدر المستطاع أن لا أنزلق إلى مخاطر المنهج اللغوي، حتى لا أقع في متاهات التحليل والجدولة الإحصائية، وإنما سعيت إلى "توظيف نصوص الجاحظ لخدمة الدرس اللغوي الحديث دون تعسف.

إن الجاحظ ظاهرة فريدة في تراثنا اللغوي، فهو لم يجمد عند حدود اللغة التي خلفتها لنا المعاجم، وإنما فهم اللغة بالمعنى الواسع كما يفهمها الدلاليون المعاصرون،والتداوليون،إن اللغة في نظره مجموعة استعمالات، هي إمكانية قابلة للتوليد تتحقق باللسان كما يشير "دوسوسير". وهذا التحقق اللغوي اللساني في العصر العباسي،اتسعت مصادره اللغوية وينابيعه بحكم التمازج الثقافي بين العرب والشعوب الأخرى.

فإلى أي مدى تمكن الجاحظ من التعامل مع الظاهرة اللغوية تعاملا لسانيا؟ وهل نجح الجاحظ في التعامل مع اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية ؟

الواقع إن اللسان مثله مثل كل المؤسسات الاجتماعية،يعكس كل ما يجري في المجتمع الذي يستعمله والمجتمعات الإنسانية بطبيعتها مبنية على التنوع. وذلك تكون اللغة نشاطا اجتماعيا متحولا وليس كيانا موحدا تعكس التحول والتنوع

على محورين:

١- محور الزمان والمكان وهو المحور الذي يعبر عن اختلاف اللغات وتنوع اللهجات وما يتصل بذلك من تفاعل غير جغرافية المكان.وهو الذي أشار إليه أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، وذلك حينما سئل فيما يرويه أبن نوفل إذ يقول» : سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عمَّا وضعت مما سمّيتة عربية، أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال : لا، فقلت : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة، قال : أعمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات «٢ وهو يقصد اللهجات بالمفهوم الحديث

٢- محور التنوع الاجتماعي : ويتعلق بكل ما يتصل بالنظام الاجتماعي وبطبقات وشرائح وفئات.وهنا لا بد أن ننبه إلى أن هذا التنوع في اللهجة والنظر إليها على أنها ظاهرة اجتماعية هي في منطلقها ظاهرة نفسية فردية فالكلام فردي واللغة جماعية مما يضفي فروقا فردية. يصطلح عليها علماء اللغة اللهجات الفردية diolectes وهي كل ما يتعلق بالطابع الشخصي أثناء إنتاج الفعلي للكلام إذ أن لكل شخص خصائصه اللغوية المميزة منها.٣:

١. البصمة الصوتية التي تختلف من شخص إلى آخر.
٢. العادات اللغوية التي تظهر أثناء عملية التلفظ.
٣. الشعور بالانتماء المهني والحرفي وأثره في القاموس اللغوي عند الفرد

إن هذا النمط اللهجي يتعلق بالطابع الشخصي أثناء الإنتاج الفعلي للكلام، إذ يوجد لكل شخص الشعور بالانتماء المهني والحرفي وأثره في القاموس اللغوي عند الفرد المتكلم ٤ ومادمنا في هذا السياق،فلا بد أن نتساءل كيف فسر الجاحظ هذه الظاهرة اللغوية الاجتماعية؟ وإلى أي مدى أثبتت ذلك اللسانيات؟ إن انتقال الألفاظ من القاموس اللغوي العام إلى الاستعمال القطاعي الخاص،عبر عنه الجاحظ بمصطلح الحظوة.وهو أن تصطفي اللغة مصطلحات وكلمات وتتنقل عبر جسر المجاز حتى يتناسى الاستعمال الأصلي اللغوي وتحمل الكلمة معناها الجديد.وهذا الذي فهمناه من كلام الجاحظ في باب

حُظْوة طوائف من الألفاظ لدى طوائف من الناس

ولكلِّ قَوْم ألفاظٌ حظِيتْ عِنْدَهم، وكذلك كلُّ بليغٍ في الأرض وصاحب كلام منثور، وكلُّ شاعرٍ في الأرض وصاحبِ كلام موزون؛ فلا بد من أن يكون قد لهجَ وألفَ ألفاظاً بأعيانها؛ ليديرَها في كلامه، وإن كان واسعَ العلمِ غزيرَ المعاني، كثيرَ اللَّفظ..

فصار حظُّ الزَّنَادِقَة من الألفاظ التي سبقتْ إلى قلوبهم، واتَّصلت بطبائعهم، وجَرتْ على ألسنتهم التناكحَ، والنتائج، والمِزاج والنُّور والظلمة، والدفَّاع والمنَّاع، والساتر والغَامر، والمنحالّ، والبُطلان، والوِجْدان، والأثير والصِّدِّيق وعمود السبح، وأشكالاً من هذا الكلام، فَصَارَ وإن كان غريباً مرفوضاً مهجوراً عنْد أهلِ ملَّتنا ودعوَتِنا، وكذلك هو عِنْدَ عوامِّنا وجمهُورنا، ولا يستعملهُ إلاّ الخَواصُّ وإلاَّ المتكلِّمون.٥

ومما يعضد كلام الجاحظ، ليس فقط استعمال اللغة الخاصة في العلوم وإنما انتقاله إلى ألفاظ الصناعات والحرف،فأنت تستطيع تمييز لغة الاسكافي، عن لغة الخضار، من لغة اللحام، من لغات اللصوص، ولغة المحاماة فلكل صناعة شكل بعد اصطفاء بعض الكلمات من المعجم العام تلزق باستعمال أهل تلك الصناعة ولذلك نجده يشدد على

أنْ يلفظ بألفاظِ المتكلمين ما دُام خائضاً في صناعة الكلام مع خواصِّ أهل الكلام؛ فإن ذلك أفهمُ لهمْ عنه، وأخفُّ لمؤنتهمْ عليّه.وبالتالي فإن» لكل صناعة ألفاظٌ قد حَصلت لأهلها بَعدَ امتحانٍ سواها، فلم تَلزَق بصِناعتهم إلاَّ بَعدَ أن كانَتْ مُشاكَلاً بينها وبين تلك الصناعة وقبيحٌ بالمتكلم أنْ يفتقر إلى ألفاظِ المتكلِّمين في خُطبة، أو رسالة، أو في مخاطبةِ العوام والتجار، أو في مخاطبةِ أهله وعبْدِه وأمته، أو في حديثه إذا تحدثَ، أو خبره إذا أخبر.

وكذلك فإنّه من الخطأ أن يجلِبَ ألفاظ الأعرابِ، وألفاظ العوامّ وهو في صناعة الكلام داخل، ولكلِّ مقامٍ مقال، ولكلِّ صناعة شكل«٦.

إن هذه الظاهرة الاجتماعية الموسومة باللغة، نجدها تلعب دورا هاما في نقل تجارب الإنسان ومعارفه وهذا الذي عبر عنه بعض اللسانيين المحدثين بنظرية رؤية العالم،وهي أن اللغة إنما جاءت تحكي تجارب البشر وعادتهم تقاليدهم، وفكرتهم ونظرتهم للكون، وأن متكلمي اللغات المختلفة يعيشون جزئيا في عوالم مختلفة ولديهم أنظمة تفكير، مختلفة

على أن لكل لغة شخصية مختلفة بوصفها خاصية مميزة للأمة او الجماعة التي تتكلمها٧

ولا بد أن نشير إلى أن تيارا مهما في اللسانيات الحديثة إنما نشأ من خلال تعامله مع اللغة على أنها وسيلة تحمل عادات وتقاليد شعوب الهنود الحمر، وهي البنوية الأمريكية.

- اللهجات الخاصة:

إن الجاحظ قد تكلم عن اللهجات الخاصة، وهو حديث ذو قيمة علمية كبيرة، رصد فيه الجاحظ دقائق اللهجات السائدة، وتنوعها في عصره، فقد أسهب في متابعة الفروق اللغوية بين طبقات الناس وفئاتهم، كأصحاب الحرف، وحلل دواعي استخدام العامة أضعف اللغات وأقلها استعمالاً، وأشار إلى الانزياح اللغوي في دلالة اللفظ عند الطبقات العامية، وما في كلامها من ركاكة وسماجة وسوقية، وأغلاط لغوية، وحرص على الواقعية في سرد كلام الشخصيات بحسب انتمائها اللغوي، فرصد لغة الملاحين وجالس صائدي العصافير والنخاسين والسجانين والنجارين، وأبرز أثر أعمالهم في تعبيرهم اللغوي، مما سمح لنا بالاطلاع على اللغات الخاصة لكل فئة، كالخبازين، وأصحاب الحمامات والزرّاع وصانعي الأشربة والكناسين والفراشين.

- المحافظة على نظام الطبقات وما يتبعها من الامتيازات والنفوذ
- تحديد السياقات الاجتماعية في الاستعمال التواصلي للغة، وكل هذا نجده مبثوثا في تآليف الجاحظ كلها وفي كتبه المختلفة.
- اللغة والشخصية
- وللتدليل على أن الجاحظ قد وعى هذه الأفكار اللسانية الحديثة،نسوق بعض النصوص ندلل فيه على أن الجاحظ رأى أن اللغة
- تحكي عادات وتقاليد الشعوب،
- فأمَّا ما قالوا في المثل المضروب رَمَتْني بِدَائهَا وانسَلَّتْ، وأمّا قولُ الشعراء، وذمُّ الخطباء لِمَنْ أخَذَ إنساناً بذنْب غيره، وما ضَرَبُوا في ذلك من الأمثال، كقول النابغة حيث يقول في شعره:

وكَلَّفْتَني ذَنْبَ امْرئٍ وتَرَكْتَ
كذي العُرِّ يُكوَى غيرُه وهو رَاتِع

- وكانوا إذا أصاب إبلَهُم العُرّ كَوَوْا السليمَ ليدفعَه عن السقيم، فأسقمُوا الصحيحَ من غير أن يُبْرِئوا السقيم.

وكانوا إذا كَثُرتْ إبلُ أحدهم فَبَلَغَت الألف، فقئوا عَينَ الفحْل، فإنْ زادَت الإبلُ على الألف فقئوا العينَ الأخرى، وذلك المفقَّأُ والمعمَّى اللذان سمعتَ في أشعارهم.

قال الفرزدق:

غلبتك بالمفقئ والمعنَّى
وبيت المُحْتَبي والخافقات

- وكانوا يزعمون أن المفقأ يطرد عنها العين والسواف والغارة، فقال الأوّل:

فقأت لها عَيْنَ الفَحيل عِيَافَةً
رَغْلاءُ المسامع والحامي وفيق أمثلهنّ

وهناك أمثلة كثيرة نقلها الشاعر العربي وللتفصيل أكثر يفضل الرجوع لهذا الفصل من كتاب الحيوان لأن المقام لا يسمح بذكرها٨

وقد لاحظت أثناء مطالعتي لكتابات الجاحظ أنه كان ملاحظا لغويا اجتماعيا متميزا فقد عالج ظاهرة قديمة حديثة وصفها وصفا دقيقا وأعطى تفسيرات علمية لها وهي:

معرفة أصول المتكلم من خلال الكلام

وقد يتكلم المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظه متخيرا فاخرا،ومعناه شريفا كريما، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي.وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه الصفة، فإنك تعلم مع إعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه، أنه خراساني وكذلك إن كان من كتاب الأهواز.

المقلد هو الحاكي او القاص يحكي كلام أهل البلد ويقلده لا يغادر منه شيئا ومثال هذا في الغالب ما يكون عند التجار والبلدان التي تعتمد على السياحة والتي تتخذها مصدرا من مصادر رزقها وهذا الذي نجده في بلدان كالمغرب الأقصى وسوريا في أسواقها من أجل جلب التجار للزبائن فتجد التاجر السوري يحكي لهجة العاصمة الجزائرية لا يغادر منها شيئا وتجد أصحاب المحلات والمقاهي والمطاعم في المغرب يتقنون اللغات الأجنبية للتعامل مع السائحين والوافدين عليها

ومع هذا إنا نجد الحاكية من الناس يحكى ألفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم، لا يغادر من ذلك شيئا وكذلك تكون حكايته للخراساني والأهوازي والزنجي والسندي والأجناس وغير ذلك نعم حتى تجده كأنه أطبع منهم فإذا ما حكى كلام الفأفاء فكأنما قد جمعت كل طرفة في كل فأفاء في الأرض في لسان واحد.(٩)

وسبب المكنة في كلام بعض الأعراق بالعربية ويعطي تفسيرا علما حول

قضية الملكة اللغوية وهي قضية أسالت حبرا كثيرا على أوراق ودفاتر اللسانيين واللغويين قديما وحديثا

وانما تهيأ وأمكن الحاكية لجميع مخارج الأمم، لما أعطى الله الإنسان من الاستطاعة والتمكين، وحين فضله على جميع الحيوان بالنطق والعقل والاستطاعة. فبطول استعمال التكلف ذلت جوارحه لذلك. ومتى ترك شمائله على حالها، ولسانه على سجيته، كان مقصورا بعادة المنشأ على الشكل الذي لم يزل فيه١٠

والجاحظ يستثني مكنة بعض الناس ولو مكثوا طول الدهر في مجتمع يتكلم غير لغة أصولهم وهم الذين لم يخالطوا أهل اللغة الهدف إلا بعد طول سنين،فالقضية مرتبطة عنده بالنشأة لا غير. فاللغة سلوك يمكن أن يكتسب مثله مثل أي عادة أخرى. وهذه وجهة نظر لسانية حديثة تعرف عند اللسانين بالنظرية السلوكية.

وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الألفاظ وصور الحركات والسكون، فأما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكنت في الألسنة،خلاف هذا الحكم. ألا نرى أن السندي إذا جلب كبيرا فإنه لا يستطيع إلا أن يجعل الجيم زايا، ولو أقام في عليا تميم وفي سفلى قيس وبين عجز هوزان خمسين عاما. وكذلك النبطي القح خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط لأن النبطي القح يجعل الزاي سينا فإن أراد أن يقول زورق : سورق ويجعل العين همزة فإذا أراد أن يقول مشمعل، قال مشمئل.١١

وهذه الظواهر اللغوية كلها موجودة اليوم، نعيشها في كل لحظة، حيث أن مختلف لغات العالم تعرف التنوع اللهجي الذي تتداخل فيه العوامل الاجتماعية بالتاريخية والجغرافية وغيرها فتجد مثلا في الفضاء العربي اختلاف اللهجات من الخليج الى المحيط فلو أخذنا في المستوى الصوتي تنوع التأدية بالنسبة لحرف القاف "ق" الذي يمكن ان ينطق قافا وءافا وكافا اذا تتبعنا توزيع هذه التأديات نجد أن النطق بالقاف همزة تختص بها بعض الحواضر الكبيرة والعريقة في الحضارة العربية الإسلامية وهي من الغرب الى الشرق فاس وتلمسان والقاهرة وبيروت ودمشق.١٢

ومحور التنوع الاجتماعي إنما هو محور عمودي تاريخي أما تنوع اللهجة والتأديات الفردية فهو أفقي يساير انتظام المجتمعات البشرية في مستويات وطبقات اجتماعية يناسب هذا التوزيع الاجتماعي توزيع لغوي حيث أن هذه الطبقات تتميز باستعمالات لغوية تسمى عند اهل الاصطلاح اي من عرف علم الاجتماع اللغوي المستويات او السجلات اللغوية وقد حاول بعضهم وعلى رأسهم اللغوي الانجليزي بازيلبارنشتاين ربط رقي الاستعمال اللغوي برقي المستوى المعيشي للمتكلمين.١٣

بد وعليه فلا بد من البحث على توظيف هذه الآليات في الاستعمال، بمعرفة ما ينبغي أن يؤدي ويقال في كل وضعية خطابية تبليغية،فتصبح مهمة الباحث هي عن هذه الضوابط اي المقاييس التي تسير استعمالنا للغة فهي تتغير المجتمعات والمجموعات اللغوية١٤

إن التحليل اللغوي العميق يبين شكلا لغويا مشتركا وقائما وراء التباينات الملحوظة بين أمة وأخرى وبين فرد وآخر...والقواعد العامة الكلية هي دراسة الشروط الكلية هي دراسة الشروط الكلية التي تنص على شكل كل لغة إنسانية١٥

إن المجموعة البشرية التي تنتمي إلى رقعة سياسية وحضارية معينة عادة ما تستعمل أنماطا لهجية متفرعة من اللغة المثالية كما نلفي ذلك واضحا في المجتمعات العربية إذ أن هذه المجتمعات تختلف فيما بينها باختلاف اللهجات الخاصة التي تعرف بها. كما نلاحظ ذلك أيضا في اللغة الانجليزية فهي في انجلترا تختلف من حيث التلون اللهجي عن الانجليزية في أمريكا ألااتتيبيبيبيأمريكا وفي استراليا. وقد يؤدي تعدد اللهجات وتباينها في المجتمع الواحد الى القطيعة والانفصال عن اللغة المشتركة حينما تغيب الروابط السياسية والدينية والاجتماعية وأيضا ١٦.

علاقة اللغة بالجنس

إن أدنى تأمل في الإنتاج الفعلي للغة في المجتمع يهدي إلى أن هناك فرقا ملموسا بين لغة الرجال ولغة النساء. إذ أن القاموس اللغوي عند المرأة يختلف من القاموس اللغوي عند الرجل هناك كلمات خاصة بالنساء الاجتماعية. وقد تقل وتتلاشى في المجتمعات المتفتحة التي تبيح الاختلاط١٧

الكلام المحظور tabou :

لم يكن أسلافنا ممن حملوا الحضارة العربية الإسلامية كل هذه الهالة التي اصطنعناها للمحظور، ذلك لأنهم امتلكوا حصانة المقاومة من الوافد من جهة ورقي العقل من جهة أخرى فلم يتعاملوا مع المحظور بتلك الرهبة والجاحظ واحد من هؤلاء العلماء،وهذه الظاهرة إنما

ترتبط بالمجتمع اللغوي ارتباطا كبيرا لأن الاستعمال اللغوي يخضع لقواعد واعتبارات اجتماعية تختلف من مجتمع إلى آخر وهذه الاعتبارات هي التي تقبل أو ترفض استعمال كلمات معينة مثل الكلمات التي تتصل بالعيوب والعاهات الجسمية وأسماء الأمراض فنرى في كثير من المجتمعات تحائلا بتهذيب بعض الكلمات وتحسينها مثل كلمة /مات/ إذ تستبدل بكلمات مثل انتقل إلى رحمة الله اسلم روحه قضى نحبه توفاه الله اختاره الله كما نجد بعض الكلمات يعزلها المجتمع بل يصادرها مثل الكلمات التي تتصل بأجزاء معينة من جسم الآنسان وإفرازاته والأمور الجنسية ١٨.

وحينما نرع إلى الجاحظ فإننا نجده قد تعامل مع الموضوع بكل احترافية علمية،فهو يرى أنه من كان صاحب علم ممرَّناً موقَّحا إلف تفكير وتنقيب ودراسة وحلف تبيُّن وكان ذلك عادةً له لم يضره النَّظرُ في كلِّ فنٍّ من الجدّ والهزل ليخرج بذلك من شكل إلى شكل.وذكر ألفاظا وروايات نعدها اليوم من با ب المحظور،وأغلب ذلك كان الرسالة الثالثة عشرة كتاب مُفاخرة الجواري والغلمان ويذكر في ذلك كلاما كثيرا عن حمزة بن عبد المطلب في معركة بدر وسيدنا أبو بكر ا لصديق يوم الحديبية و تفسير سيدنا عبد الله بن العباس وتبريره لذلك وإنما وُضعت هذه الألفاظ ليستعملها أهل اللغة ولو كان الرأي ألاّ يُلفظ بها ما كان لأوّلٍ كونها معنىً ولكان في التَّحريم والصَّون للُغة العرب أن تُرفع هذه الأسماء والألفاظ منها.

وقد أصاب كلَّ الصَّواب من قال: " لكلِّ مقام مقال ".

وممّا صدر حديثا كدراسات تصب في هذا الباب كتاب للدكتورة رشيدة اللقاني بعنوان [ألفاظ الاجتماعية في أدب الجاحظ] فضلت ان أجتزئ منه كلاما عن-ألفاظ المكدين واللصوص:

تقدم الباحثة دراسة عن ألفاظ المكدين واللصوص في الفصل الثامن. وقد برهنت أن الجاحظ لغوي أصيل، إذ كان ينظر إلى اللسان على أنه ظاهرة اجتماعية قابلة للرصد والتحليل، دون أن يحتقر لغة العامة، كما فعل من سبقه من اللغويين فكان يسرد اللفظة متحرراً من كل قيد اجتماعي أو خلقي، مثلما تجلى عطفه على العامة، وأصحاب المهن. ومن هذه الفئات (المكدون) الذين يلتمسون رزقهم بالمكر والحيلة، والعواء: وهو الذي يسأل بين المغرب والعشاء، وربما كان له صوت مطرب، والقرَسي: وهو الذي يعصب ساقه أو ذراعه مدعياً أن فيه علة، والكاغان: وهو الكاجار أو الغجري، والكاغاني: مدعي البلاهة أو الجنون. والخليدية: وهم المساجين الذين حكم عليهم بالسجن المؤبد، وينسبهم "الحاجري" إلى ضاحية الخلد في بغداد. والخرّبية: وهي طائفة لا تحقر السرقة والنهب. والمخطراني: الذي يدعي أن لسانه مقطوع فيثير شفقة الناس في تسوله، والمزيدي: الذي يدور ومعه دريهمات يتسول بها ويطلب المزيد، والمستعرض: الذي يرتدي ثياباً فخمة ويتسول مدعياً أنه انقطع في سفر أو تعرض لمحنة معترضاً الناس. والمشعّب: الذي يتسول بالأولاد. والمقدس: الذي يدعي كاذباً أن الحاجة له، ويحرج صاحبها. وتتبع الجاحظ لغة هؤلاء المكدين ومكائدهم، وأورد كثيراً من ألفاظهم حتى يمكن أن تصنف في معجم، مثلما تابع أنواع اللصوص منهم الخياط (زعيم اللصوص) والشاغل: الذي يشغل الناس عن اللص ليسرق، والطرار: الذي يقطع الهميان ليسرق ما فيه. والعين: الذي يرصد "الحاجات" ويخبر اللصوص عن إمكانية سرقتها، والمؤنسي: الذي يشتري الحاجات المسروقة ويبيعها، ويتضح من دراسة الجاحظ أن أكثر المكدين لم يكونوا عرباً، مثلما يظهر منها الانحدار الخلقي لبعض الطبقات البائسة في المجتمع، وتطور أساليب الاحتيال مع تطور المدنية، ومشاركة بعض رجال الأمن المكدين في الكسب والتستر عليهم.١٩

هذا كل ما لفت انتباهنا أثناء مطالعتنا لكتابات الجاحظ وملاحظاتنا لعلوم اللسانيات الحديثة، ومن خلال ما قدمته يمكن أن نجزم بأن الجاحظ يعتبر صاحب نظريات لسانية بلاغية لغوية كثيرة بل لا نكاد نكون مبالغين في القول بأنه صاحب عمود السبق في التأسيس لعلم الاجتماع اللغوي سواء عند العرب أو عند غيرهم من الباحثين العرب،ويمكن التنقيب أكثر فأكثر عن ما أبدعه الجاحظ في تآليفه ولكن الموضوع منوط بشدة الحزم وقوة الهمم فأرجو أن يوفق الباحثون في الكشف عن أسرار هذا البحر اللغوي

المصادر والمراجع

١- مبادئ في اللسانيات خولة طالب الابراهيمي ط٢ دار القصبة للنشروالتوزي٢٠٠٦ ص١٧٢، ١

٢ طبقات النحويين واللغويين : د. الزبيدي. تحقيق أبو الفصل إبراهيم. ط١. القاهرة. ١٩٥٤. ص ٣٩

٣ محاضرات في اللسانيات الاجتماعية لطفي بوقرة معهد الادب جامعة بشار٢٠٠٢/٢٠٠٣ ص ١ وما بعدها

٤ مباحث في اللسانيات احمد حساني ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،ط١٩٩٩،ص٢٢

٥ الحيوان الجاحظ أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون الطبعة٢ مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٩٦٥،٣ /٣٦٦

٦ الحيوان الجاحظ ٣/٣٦٩،٣٦٨،٣٦٧

٧ مبادئ اللسانيات البنوية دراسة تحليلية ابستيمولوجية، الطيب دبة، دار القصبة للنشر طبعة ٢٠٠١ص ٣٦-٣٧

٨ الحيوان الجاحظ ص ١/١٨،١٧

٩ البيان والتبيين أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرةط١٩٩٨،١٧، ٦٩

١٠ البيان والتبيين الجاحظ ١/ ٧٠

البيان والتبيين الجاحظ ١/ ٧٠١١

١٢ مبادئ في اللسانيات خولة طالب الابراهيمي ط٢ ص١٧٣

١٣ مبادئ في اللسانيات خولة طالب الابراهيمي ص١٧٣

١٤ مبادئ في اللسانيات خولة طالب الابراهيمي ط٢ ص١٧٤

١٥ قضايا السنية تطبيقية دراسة لغوية اجتماعية نفسية مع مقاربة تراثية ميشال زكرياءدار العلم للملايين ط١٩٩٣،١ ص٧٠

١٦ مباحث في اللسانيات احمد حساني، ص٢١

١٧ مباحث في اللسانيات احمد حساني،،ص٢٢

١٨ مباحث في اللسانيات احمد حساني،٢٣

١٩ ألفاظ الحياة الاجتماعية في أدب الجاحظ رشيدة اللقاني جامعة الملك سعود- عمادة شؤون المكتبات الطبعة الأولى (١٤١٣هـ-١٩٩٣م ص٥٠ وما بعدها